

نفحات القرآن

[309] وقد يكون منشأه هو التكبر والغرور اللذين يمنعانه من الخضوع أمام الحق والتسليم له، وقد يكون منشأه عوامل أخرى. إن التعصب واللجاجة يجعلان ستاراً على العقل لا يسمح للإنسان أن يرى الحقائق، فإنّنا نرى أشخاصاً غير مستعدين للتخلي عن عقائدهم بأي شكل كان رغم إقامة الأدلة القطعية على بطلانها، وإنّ أشخاصاً كهؤلاء لو أقمنا لهم ألف دليل ودليل على أنّ للدجاج رجلان، قالوا: كلا، بل رجل واحدة! وأخذناهم بأيدينا تحت نور الشمس الساطعة وقلنا لهم: إنه نهار. قالوا: لا بل ليل! لقد عكست الآيات التي ذكرت في بداية البحث هذه الحقيقة بوضوح، واعتبرت هؤلاء صُماً وعمياً وأمواتاً، ومطبوع على قلوبهم، أو أن قلوبهم في ملغقة فلا يفقهون شيئاً. وقد جاء في الروايات الإسلامية مضامين تستند إلى نفس المضمون الذي جاء في الآيات المذكورة، وفيها توبيخ للجوجين والمعاندين. منها قول أمير المؤمنين (عليه السلام): "اللجوج لا رأيَ له" (1)، ومنها قوله كذلك: "اللاّزجُ يُفسد الرأي" (2)، وكذا قوله: "ليس للجوج تدبير" (3). وقال الإمام (عليه السلام) نفسه في خطبة القاصعة: "فاً ا في كيدِ الحَمية وفخر الجاهلية فإنّهُ ملاقح الشنان، ومنافخ الشيطان، التي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية حتى أعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته" (4). ننهي حديثنا بكلام آخر لنفس الإمام العظيم، في جواب له على رسائل _____ 1 - غرر الحكم، 2 - غرر الحكم، 3 - غرر الحكم، 4 - نهج البلاغة الخطبة 192.